غرائب الاتفاق

كثيرًا ما يفكّر الانسان في شخص بعيد عنه ثم لا يلبث ان يأتيه كتابٌ منه او يراهُ آتيًا بنفسهِ لزيارتهِ على غير المنتظر. وكثيرًا ما يفكّر في امر من الامور ويتمنّى لو وجد له وجهًا ثم يهتدي الى وجههِ بصدفة غير منتظرة. من ذلك ما ذكرهُ الاستاذ دومورغن الرياضي الكبير قال كنت سنة ١٨٦٥ اقرأُ عن حصار مدينة بوستن في حرب الحرية الاميركية فاختلطت عليَّ اسماء الاماكن والقواد اختلاط الحابل بالنابل حتى لم اعد افهم ما اقرأُ. وفيما انا كذلك اتاني رزمة من الاوراق والكراريس ارسلها اليَّ احد اصدقائي وكتب اليَّ يقول انهُ باع كتبهُ كلها وبقيت عندهُ هذه الاوراق فلم يظن انها تحقق المبيع فبعث بها اليَّ لعلي اجد فيها شيئًا يستحق الحفظ ففتحتُ الرزمة واول ورقة وقع نظري عليها كانت خريطة بوستن وتفصيل الوقائع التي حدثت حولها وقت حصارها وقد رُسمت سنة ١٧٧٥

وذكر في مكان آخر ان المسيو سترمون من اعضاء المجمع الفرنسوي بعث اليَّ سنة ١٨٦١ يقول ان فرسنل البصري الفرنسوي ارسل سنة ١٨٢٤ مقالة لتترجَم وتدرَج في "الجريدة الاوربية" ويريد ان يعرف ماذا جرى لها. فذهبت الى المخفف البريطاني وتفحصت اعداد الجريدة المذكورة (لانها اوقفت عن الصدور بُعَيْد ارسال المقالة اليها) فلم اجد فيها ذكرًا للمقالة المذكورة فكتبت الى سترمون اخبرهُ بذلك وقلت لهُ ان الامر يتوقف على معرفة اسم محرر الجريدة وهذا لا مطمع بهِ لان الجرائد قلما تكتب اسماء محرريها وخمت الكتاب ووضعتهُ في صندوق البريد بيدي ودخلت مخزنًا فيهِ كتب للبيع واخذت منهُ كراسة صغيرة رأيتها مطروحة على الارض ففتحتها واول صفحة وقع نظري عليها منها وجدت فيها الفقرة الآتية "وكتب واحد منهم الى ولكر محرر الجريدة الاوربية". فعرفت المحرر واستخبرت منهُ عن المقالة المذكورة

ونحن قد عرض لنا حوادث كثيرة مثل هذه من ذلك ان صديقنا الدكتور شميل كتب مرةً الى مدير جريدة اميركي يستصحهُ بالرد على بعض ما جاء في تلك الجريدة فكتب المدير يقول انهُ ليس من عادة الجرائد ان تقبل ردًّا على جُمَل محرريها Editorial ولما ارانا الدكتور شميل هذا الجواب اخذنا امامهُ مجلدًا من مجلدات جرنال العلم العام الاميركي وفتحناهُ فوجدنا في اول صفحة وقع نظرنا عليها ردًّا على محرر تلك الجريدة. والردُّ عليهِ نادر قلما يوجد واحد منهُ في المجلد والمجلدين

ومن ذلك ايضاً ان احد المتطاولين على اهل العلم خطّاً نبذة صناعية مدرجة في مجلد قديم من مجلدات المنتطف وادرج الخطّة في احدى جرائد بيروت . وزارنا الصديق جرجي افندي زيدان في ذلك الحين واشار الى الجريدة التي فيها الخطّة فقرأناها وضحكنا من سخافة عقل كاتبها ثم التفتنا الى الجرائد العلميّة الافرنجيّة التي جاءتنا في ذلك الاسبوع فوجدنا في اول جريدة فتحناها منها نفس الفقرة التي أُدرجت في المنتطف قبل ذلك باربع سنوات كأنها تُرجمة عن المنتطف وهي منقولة اليها عن جريدة جرمانيّة علميّة

وفي شهر بوتو الماضي كنا نكتب مقالات المنتطف فلم نجد كلاماً حديثاً عن الزمان والفراغ وحقيقة المحمرزم فكتبنا ما كتبنا وصَدَر المنتطف وبعد صدوره بايام قليلة وردت الينا بوسطة اوربا فوجدنا في اعمال جمعيّة فكتوريا الفلسفية مقالة مسهبة في الزمان والفراغ وفي جريدة الاخبار العلمية بداءة مقالة مسهبة في حقيقة المحمرزم

ومن اغرب الاتفاقات التي من هذا النوع ما حدث للدكتور بن وهو يحاول قراءة القلم المصري القديم المعروف بالهيروغليف وذلك ان مستر غراي اعطاهُ دروجاً من البردي اشتراها من جبانات ثيبة سنة ١٨٣٠ وقبل ذلك أتى الى باريس رجل من مصر اسمهُ كاساتي وكان معهُ كتابات مصرية قديمة فوجد شمبليون ان فاتحة كتابة منها تشبه الكتابة التي على الحجر الرشيدي فاشتهر ذلك وعرف بهِ الدكتور بن فاستحضر نسخة من هذه الكتابة . ثم اعطاهُ مستر غراي الدروج المذكورة آنفاً فوجد ان فيها كتابة يونانية وكان شمبليون قد حلّ بضع كلمات من الكتابة التي أتى بها كاساتي فوجد الدكتور بن ان الكتابة اليونانية هذه هي ترجمة الكتابة المصرية التي شرع شمبليون في حلها . والكتابة كلها لائحة مبيع بعض الامتعة المختصّة بوميات اناس مذكورة اسماؤهم فيها وتحتها اسماء الشهود الذين شاهدوا المبيع . فكتابة هذه اللائحة بشهودها الكثيرة وترجمتها الى اليونانية وبناء الاصل والترجمة الى هذه الايام ووصولها الى اوربا الى الشخصين الوحيدين المشتغلين بحل رموز القلم المصري كل ذلك من الاتفاقات التي لا تقصر عن المعجزات

وكثيراً ما يتفق حدوث شيء مخالف لكل انتظار كما حدث للملازم التلكي وذلك ان امرأة عجوزاً أتته ذات يوم تطلب منهُ ان يعرف لها بالتنجيم أين اضاعت صرّة فيها اثمنة من الكتان . فرسم لها دائرة على سبيل المزاح ورسم في الدائرة خطوطاً مختلفة ثم قال لها انكِ تجدين الصرّة في الجهة الفلانية من بيتكِ قال ذلك وهو عازم ان يبيّن لها فساد التنجيم حينما ترجع اليهِ فارغة الذهن . فلم يمضِ الّا وقت قصير حتى رجعت وهي تشكرهُ لانها وجدت الصرّة

حيث قال لها

واغرب من ذلك ما حدث لنبوليون الاول و نبوليون الثالث من الاتفاقات الغريبة المتعلقة بحرف الميم او الأم M الافرنجيّة وهي منقولة عن فترة وجدها الدكتور بكلي الاميركي في احدى الجرائد الايطالية القديمة وذلك ان مربف Marbœf اوّل مَن توسّم في نبوليون الاول سمات النجابة والبسالة وهو في المدرسة الحربية . ومارنجو Marengo اعظم موقعة انتصر فيها . ومورتيه Mortier كان من اول قواده . ومورات Murat اول شهيد لاجله . وفي موسكو Moscow افل نجم سعده . ومترنش Metternich غلبهُ في ميدان السياسة . وستة من قواده الكبار تبتدئ اسماؤهم بحرف الميم وهم ماسنا Massena ومورتيه Mortier ومارمون Marmont ومكدونلد Macdonald ومورات Murat ومنسي Moncey . وستة وعشرون من قواده الصغار تبتدئ اسماؤهم بحرف الميم ايضاً . واوّل واقعة من وقائعه الكبيرة واقعة مُنتنوت Montenotte وآخر واقعة منها واقعة مون سن جن Mont-Saint-Jean . وانتصر في واقعة موسكو ومنميرال Montmirail ومنترو Montereau . وميلان Milan اول قصبة دخلها من بلاد العدو وموسكو آخر قصبة دخلها . واخذ مصر من المماليك وذهبت من يده باغلاط الجنرال منو Menou . واستخدم الجنرال ميولس Miollis للقبض على البابا بيوس السابع . وأشار عليه مالت Malet ثم مارمون Marmont . وكان وزراؤهُ مارت Maret ومتلينه Montalivet ومولين Mollien . وكان خادمه الاول مُنتسكيه Montesquieu ومنزله الاخير ملمازون Malmaison . واسلم نفسه للقبطان ميتلند Maitland وكان مسلون Montholon رفيقه في منفاهُ في جزيرة القديسة هيلانة ومرشان Marchand خادم غرفته فيها

واما نبوليون الثالث فتزوج باميرة منتجو Montijo . وكان مورني Morny اكبر اصدقائه . وتغلبت جنودهُ على ملاكوف Malakoff وملوفر Mamelouvert وذلك اشهر ما حدث في حرب القرم . وكان من قصده ان يفتتح حرب ايطاليا بواقعة مارنجو Marengo ولكنها افتتحت بواقعة منتبلو Montebello في ماجنتا Magenta واعطى المرشال مكماهون Mc Mahon لقب دوق ماجنتا كما اعطى بلسيه لقب دوق ملاكوف ثم دخل مدينة ميلان وتغلب على النمساويين في ملينانو Melegnano

وبعد سنة ١٨٦٦ خانهُ هذا الحرف فصار عليه شؤمًا فحبطت مساعيه في مسئلة مكسيليان Maximilian والمكسيك وافتتح الحرب الاخيرة مع بروسيا واعتمادهُ على مكماهون ومتوبان Montauban والمتراليز Mitrailleuse . وكان في نيته ان يجعل مركز الحرب في مينس Mayence

ولكنه قُهر عند نهر الموزل Moselle وتمّ انقلابه عند نهر الميز Meuse في سيدان . ثم تبع ذلك سقوط متز Metz . والذي قهر نبوليون الثالث قائد جند اعدائه الجنرال ملفكي Moltke. وهذا من اغرب غرائب الاتفاق لان الاعلام المبدوّة بحرف M ليست اكثر من المبدوّة بحرف C او S

ويشبه ذلك علاقة يوم الجمعة من ايام الاسبوع بحوادث اميركا فان خرستوفورس كولمبس اقلع للتفتيش عن اميركا يوم الجمعة في الثالث من اوغسطس سنة ١٤٩٢ واصاب البر يوم الجمعة في الثاني عشر من اكتوبر سنة ١٤٩٢ وقام من هناك راجعًا الى اسبانيا يوم الجمعة في الرابع من جنفيه سنة ١٤٩٣ وبلغ مينا بالوس في اسبانيا يوم الجمعة في ١٥ مارس سنة ١٤٩٣ وعاد الى اميركا فبلغ هسبانيولا يوم الجمعة في ٢٢ نوفمبر سنة ١٤٩٣ . وولد وشنطون محرر اميركا يوم الجمعة في ٢١ فغريه سنة ١٧٣٢ . واستولى الاميركيون على بنكر هل يوم الجمعة في ١٦ يونيو وهناك ابتدأ ظافرهم في حرب الحرية . ويوم الجمعة في ٧ يونيو سنة ١٧٧٦ نودي في المجلس العالي بحرية الولايات المتحدة . وبقيت حوادث اخرى كثيرة نال الاميركيون منها خيرٌ وكلها حدثت يوم الجمعة .

من الاتفاقات الغريبة انهُ لما كان بكنان رئيسًا للولايات المتحدة بنى الاميركيون سفينة حربيّة وسموها باسم بنت اخي السيدة هريت لاين وجعلوها تحت امرة رجل اسمهُ هنري وبنرَبْط . وبعد مدة كانت السيدة هريت لاين في بلاد الانكليز فقتلها رجل اسمهُ هنري وبنرَبط وفي ذلك الحين نفسهِ اصاب السفينة مصيبة في البحر وهي تحت امرة رئيسها هنري وبنرَبْط الآخر وذُكِرَت الحادثتان في عدد واحد من جريدة واحدة

وذكر الاستاذ بركنر الانكليزي ان رجلاً اسمهُ اغدن تشارط مع رجل آخر ان يعطيهُ الف جنيه اذا رمى حجرَي النرد (الزهر) عشر مرات متوالية فكانت النقط الظاهرة كل مرة سبعة واذا كانت اكثر من سبعة او اقل منها ولو مرةً واحدة يأخذ منهُ جنيهًا واحدًا . فقبل الرجل بالشرط ورمى الحجرين تسع مرات متوالية وكانت النقط سبعًا كل مرة . فعرض عليهِ أغدن اربع مئة وسبعين جنيهًا لكي يفكهُ من الشرط فلم يقبل بل رمى الحجرين المرة العاشرة فلم يصب سبع نقط بل تسعًا فخسر الشرط وربح اغدن الجنيه

وكتب بعضهم الى جريدة المعرفة الانكليزية يقول ان عمي مغرم بفن التصوير ويصور الصور ويضعها في البراويز الجميلة ويهديها الى اصدقائهِ ومنذ مدة اهدى صورة الى رجل يسكن في مدينة اخرى فعلقها هذا في الغرفة التي فوق غرفة المائدة وفي احد الايام كان جالسًا على المائدة

مع عائلتهِ فسمعوا صوت وقوع شيء ثقيل في الغرفة التي فوقهم فهرعوا اليها واذا بالصورة واقفة على الارض وبروازها محطمٌ من اعلاهُ لا من اسفلهِ فاندهش صاحب البيت من ذلك وقال اخاف ان يكون قد اصاب مصورها شيء . وفي ذلك اليوم وفي تلك الساعة عينها كان عمي ماشيًا في السوق فسقط وانشق صدغهُ ومات لساعتهِ

وكثيرًا ما تقع الاتفاقات الغريبة حينما يحترس الناس من وقوعها اشد الاحتراس . ذكر الاستاذ بركتر انهُ كان ذاهبًا الى مدينة برمنهام ليقدم فيها خطبًا علميَّة ويوضحها بصور بالفانوس السحري . وكان قد ذهب الى هذه المدينة مرتين او اكثر قبل ذلك فلم تفابهُ عينها وفي كل مرة كانت تحدث لهُ حادثة غير منتظرة تعيقهُ عن الوصول اليها في الوقت المعيَّن فاحترس هذه المرة لكي لا يعتريهُ شيء . فوصل اليها في الوقت المعين ولما وصل افتقد صندوق الصور وكان معهُ في المركبة فلم يجدهُ ولدى التفتيش وجد ان انسانًا آخر اخذهُ خطأً في المحطة التي قبل برمنهام . ونظن ان كل واحد اتفق لهُ شيء من ذلك . هذا ولو اردنا ان نذكر كل ما اتفق لنا من الاتفاقات الغريبة وكل ما سمعناهُ او قرأناهُ عمَّا اتفق لغيرنا لملأنا صفحات المقتطف كلها فنجتزي بما ذكر ونلتفت قليلاً الى تعليل هذه الحوادث فنقول

ان كل حادثة من الحوادث المتقدمة اذا نظرنا اليها منفردةً مجردةً قلنا ان وقوعها نادر جدًّا حتى يكاد يكون ضربًا من المحال ولكن اذا اعتبرنا ان الحوادث العادية التي تحدث كل يوم تُعَدُّ بالالوف والوف الالوف لم نستغرب وقوع هذه الاتفاقات بينها بل لو لم تقع لاستغربنا عدم وقوعها اكثر مما نستغرب وقوعها . ولنوضح ذلك بمثل : لنفرض ان لزيد سهمًا في بنك عمرو البالغة سهامهُ مئة سهم وسهمًا آخر في بنك خالد البالغة سهامهُ مئة سهم ايضًا . ولنفرض ان البنكين القيا قرعةً في يوم واحد فاصابت القرعتان سهمي زيد فاتفاق ذلك من اغرب الاتفاقات . ولكن لنفرض ان لزيد سهامًا في مئة الف بنك وان هذه البنوك القت قرعة في يوم واحد فلا تعجب حينئذٍ من ان القرعة اصابت سهمين او اكثر من سهام زيد بل تعجب اذا لم تصب عشرة سهام منها . وهذا شأن الاتفاقات المذكورة آنفًا فانني لا اذكر اسم صديقٍ ويحضر حين ذكره حتى اذكر اسم الف صديق ولا يحضر منهم احد . واذا فتشتُ اليوم عن شيء واتفق انني وجدتهُ حالاً قلنا وغيري نفتش عن الف شيء ولا نجد شيئًا منها الاَّ بعد التعب الجزيل . ولكن هذه الاتفاقات على وضوح تعليلها قد كانت ولم تزل سببًا لاوهام وخرافات يضيق المقام عن ذكرها